الـــرد

على الكتاب الاســـــــود

بقلم السيدة نبوية موسى

96

للمزيد من الكتب
https://www.facebook.com/groups/histoc.ar

لقراءة مقالات فى التاريخ
https://www.facebook.com/histoc
https://histoc-ar.blogspot.com

الـــرد

على الكتاب الاســـــــود

بقـلم السيدة نبوية موسى

عبيد

إن كل ماتهم به مكرم باشا عبيد صديقه القديم رفعة مصطفى النحاس باشا حقائق دامغة لا شك فيها ولا غرابة . فقد صادقه منذ سنة ١٩١٨ الى الآن أي منذ ٢٥ عاما ، فهو أعلم الناس بأخلاقه ومطامعه . وقد أخرج النحاس باشا كل رجال الوفد الاصليين ومن بينهم وكيل الوفد المغفور له حمد باشا الباسل وغيره من اعاظم الوفد وزعمائه الشرفاء من أجل مكرم باشا عبيد فالاثنان تجمعهما رابطة واحدة هي تقارب الميول والاخلاق والا لما استطاع أن يتصادقا كل تلك المدة الطويلة . !

على أن أقل مايقال في النحاس باشا هو اما أنه كان متفقا معه لاتفاق اخلاقهما واتحادهما في تلك المخازي ، أو أنه كان جاهلا بأخلاق مكرم باشا الذي كان يتغنى كل تلك المدة بنزاهته ويخرج رجال الوفد من أجله وعلى ذلك فلا يصح النحاس باشا الرئاسة الامة سواء في ذلك أكان مرتكبا مع صديقه أم كان جاهلا بخلاله فأن الرئيس الجاهل أشد خطرا على الامة من المرتكب نفسه !

واني في هذا الرد ألخص التهم والفضائح التي وجهها مكرم باشا الرفعة النحاس باشا على أنها حقائق لامراء فيها . ثم اثبت على مكرم باشا أنه شريك له في كل ماذكر أو هو الفاعل الاصلي لكل تلك المخازي لأنه كان اليد العاملة والرأس المفكرة لكل مايقوم به النحاس باشا من الأعمال وسأثبت ذلك باقوال مكرم باشا نفسه وبالتواريخ

اما ماتهم به مكرم باشا زملاءه الوزراء فلا قيمة له في نظري ولم يدفعه اليه الا الحقد والحسد

واني قبل أن ألخص التهم اتكلم عن سبب خروج مكرم باشا من الوزارة .

سبب خروج مكرم باشا من الوزارة

يدعي مكرم باشا أنه خرج من الوزارة لمسائل التموين وغيره من المسائل الخيرية التي كانت تعمل الوزارة بارادته هو قبل كل شيء والواقع أنه يغير الحقيقة كل التغيير في هذا ولو كان مكرم باشا استعفى مخافة الوزارة وفضائحها لاستعفى القبض على حضرة صاحب المقام الرفيع علي باشا ماهر وغيره من عظماء الامة واسرة اذ ذاك ولكن مكرم باشا لا يبالي بالشرف والوطنية ولا يهتم بالقانون ولا يرجع سبب خروجه الا الي اسباب سياسية عالية فقد كان مكرم باشا مع وجوده في الوفد يتقرب الي الانجليز سراً ويبكي ويستبكيهم رحمة بالاقلية ولما كان الانجليز هم اشرفاء ديموقراطيين لا يحبون الظلم فقد كانوا يعطفون عليه ويناصرونه ظنا منهم انهم ينصرون الحق والعدل وكان رفعة النحاس باشا نفسه يعلم تقرب مكرم باشا من الانجليز وكان يعتمد عليه في الاتصال بهم ولهذا ظل مكرم باشا عبيد متمتعا بالسلطة التي لا حد لها في ادارة شؤون الوفد طالما كان متمتعا برضاء الانجليز عنه حتى ان وزارة الوفد عندما ذهبت الي انجلترا لعقد المعاهدة سنة ١٩٣١ وكاد يتم الاتفاق وكتبت النصوص خرجوا رفعة النحاس باشا برفض الانجليز من غير سبب . وكان السبب الحقيقي في هذا الرفض أن مكرم باشا في تلك الليلة بكى واستبكى الانجليز لحالة الاقلية وقضت ديموقراطية الانجليز ان لا يقبلوا اتفاقا يهان من أجله الاقلية وهم المعروفون بالعدل اينما حلوا . وهكذا عاد رفعة النحاس باشا لسانه يقول (خسرنا طلعاهدة ولكنا كسبنا صداقة الانجليز) وما كسب صداقة الانجليز

اذ ذ لك الا مكرم باشا فقط . وما كان النحاس باشا ينكلم الا باسانه وهكذا ظل مكرم باشا يتمتع بعطف الانجليز الي أن تولى الحكم هذه المرة ولكن مكرم باشا لا يذكر يدا أسديت اليه ، بل جبل على مقابلة الاحسان بالاساءة ولهذا نسى عطف الانجليز ونعمهم عليه عندما رأى أن الالمان قد دحلوا الملعبين وظن لقصر نظره انهم هم الفائزون فقلب للانجليز ظهر المجن ولجأ الى السراى ليدس لهم عندها كما كان يدس للسراي عند الانجليز واللجوء الي السراى شرف يجب أن يتمتع به كل مصرى صميم فلا عيب فيه ولكن العيب كل العيب أن يدس لها زمنا طويلا ثم يذهب ليدس لغيرها بعد ذلك . والسراى أجل وأرقي من أن تستمع كلمة من كلامه .

وهنا فقط عرف الانجليز اخلاق مكرم باشا الحقيقية فتخلوا عنه وعلم بذلك رفعة النحاس باشا بالطبع فأراد أن ينتقم لنفسه ولسلطته المسلوبة كل ذلك الزمن الطويل فلم يقبل أن يتمتع مكرم باشا بأهم وزارتين هما المالية والتموين فأراد أن يسلخ منه التموين بل ضن عليه أيضا بالسلطة المطلقة في المالية واراد أن ينشيء ديوان المحاسبة ليعطيه كثيرا من اختصاصات المالية ومن هنا نشأ الخلاف ويعترف مكرم باشا نفسه في كتابه الاسود بهذه الحقيقة فيقول نصه (علام وعلى من اعتمد لاتخاذ هذه الخطوة الجريئة ؟ وأى وحى استوحى فأوحي؟ لعل فى الأمر سرا . أو فى السر أمراً ستكشف الأيام عن خبيئه) فكرم باشا يتساءل على من اذن اعتمد النحاس باشا فى اخراجه من الوزارة أليس كلام مكرم باشا صريحا فى انه اعتمد على قوة ؟ وهي ولا شك قوة انجلترا ثم يعود فيقول (ولئن كان الواجب المقدس يقضي بأن لا أعنى من الاشارة حول المسعى الاقذر الخفيف

من مفاوضات ومقابلات ومحاولات أسود لها وجوه وتبيض وجوه ، فلا من شيء يمنعني بل كل شيء يدفعني الى ان ادعو الله وهو خير حافظا أن يحفظكم لمصر مدنا حولها الشرف ويخدمه الشرفاء ومصريا هو للوطن صخرة الصفاء وقبلة الرجاء) . فهل هناك شك بعد هذا الكلام فى أنه يريد ان يقول بعبارة صريحة أن الانجليز هم الذين اخرجوه ؟ والواقع أنه مخطيء فيما يدعي فالانجليز لم يخرجوه ولكنهم تخلوا عن نصرته لما عرفوا دسه واخلاقه ، ولو أن مكرم باشا زال من ميدان السياسة نهائيا هو ودسائسه التى يدسها للشعب المصرى وملكه المحبوب لتم الاتفاق بيننا وبين الحليفة لاعلى الورق بل في صميم القلوب من الشعب الوادع الامين الى ملكه النبيل العظيم فما منا من يأبي الاتفاق مع الحليفة الشريفة .

ملخص الفضائح والتهم

اولا — ان رفعة النحاس باشا لم يكن نزيها بدليل ما اشتراه لحضرة صاحبة العصمة حرمه من الأملاك فى مدة حكمه وهى كما يأتى :

١ — شراء حوالى ٨٠ فدانا باسم السيدة حرمه من معالى فؤاد سراج الدين باشا بعقد موقع عليه أمام كاتب العقود بتاريخ ١٨ مارس سنة ١٩٤٢ ومسجل بتاريخ ٢٣ يونيه سنة ١٩٤٢ بمبلغ ٤٢٨٣ جنيها

٢ — شراء مايقرب من ٧٥ فدانا باسم السيده حرمه من الخواجه نمبل نسيم عدس بعقد وقع عليه أمام كاتب العقود بتاريخ ٨ اكتوبر سنة ١٩٤٢ وسجل فى ٢٤ منه بمبلغ ٨٩٧٤ جنيها

٣ — شراء سيارة ثمنها الاصلى ٣٠٠٠ جنيه وبيعت لرفعته

بمبلغ ٢٥٠٠ جنيه من المسيو كوتسيكا

٤ — شراء فراء أبيض بمبلغ ٣٠٠٠ جنيه فبكون مجموع الثمن الذى دفعه رفعة النحاس باشا لمشترياته هذه هو مبلغ ١٨٧٥٧ جنيها وهو مبلغ عظيم لا يستطيع رفعة النحاس أن يقول إنه كسبه من وجوه كسب مشروعة خصوصا اذا علمنا أن حضرة صاحبة العصمة حرمه لم تكن تملك شيئا اطلاقا بدليل أن حضرة النائب المحترم عبد الحميد بك الوكيل شقيقها قدم خطابا الى البنك العقارى الزراعي بتاريخ أول سبتمبر سنة ١٩٤٢ بالاصالة عن نفسه وبالنيابة عن باقى الورثة يقول فيه إن المرحوم والده كان مدينا للبنك العقارى الزراعي المصرى بمبلغ ٨٨٦٨ جنيها ثم مبلغ ٣٥٩٢ جنيها اى مبلغ ١٢٤٦٠ جنيها وان القسط الذى وجب دفعه لهذا الدين يبلغ مجموعه ٨٨٠ جنيها سنويا تقريبا وأنه هو وباقى الورثة عاجزون عن دفع مثل هذا القسط حتى اصبح مجموع المتأخر عليهم لغاية سنة ١٩٤١ هو ١٨٠٦ جنيهات خلاف الفوائد وانهم لذلك يطلبون ضم هذا المبلغ المستحق عليهم الى رأس المال وتخفيض الفوائد الى ١ ٪ ليستطيعوا القيام بسدادها ابتداء من سنة ١٩٤٤ وفى هذا دليل ساطع على ان ورثة المرحوم عبد الواحد باشا الوكيل لا يملكون شيئا وان هذه الحكومة قد خفضت لهم الفوائد الى ١ ٪ كما طلبوا ونحن هنا نقول لحضرة صاحب المعالي مكرم باشا عبيد صاحب الكتاب الاسود أنه في سنة ١٩٣٧ عمل للمغفور له عبد الواحد باشا الوكيل تسوية يعجز عن تخيلها العقل ولولا تلك التسوية التي قام بها هو كوزير للمالية ما كان لعبد الواحد باشا الوكيل قيراط واحد من الارض الي الآن وهذا

اذن يثبت أنه شريك فى المحاباة وانه يحاني رفعة النحاس باشا نظير محاباة النحاس باشا له أيضا .

ثانيا — استغلال النحاس باشا سلطته الحكومية فى الاستيلاء على الاوقاف فقد قال مكرم باشا فى كتابه ان رفعته لم يتنظر على الاوقاف الثلاثة التى هو ناظر عليها الآن الا فى ابان توليه الحكم فهو اذن يستعمل نفوذه الحكومي فى الاستيلاء على أموال اوقاف المسلمين وقد كان في سنة ١٩٣٧ ناظرا على وقف المرحوم محمد عبد العال فنزع ملكية منزل الوقف للمنافع العامة بقرار من المحكمة فى ١٠ اكتوبر سنة ١٩٣٧ نظير مبلغ ٥٣٢٥ جنيها مع أن المنزل لم تنزع ملكية ارضه كلها بل بقي منه جزء فهل من المعقول أن منزلا قديما فى سمنود تنزع ملكية نصفه بمبلغ ٥٣٢٥ جنيها ؟ اذا لم يكن ناظر الوقف هو رفعة رئيس الوزراء وقد استلم بيده ذلك المبلغ من خزينة الدولة بأمر صاحب الكتاب الاسود وقد كان اذ ذاك وزيراً للمالية ؟ ثم بنى منزله من ذلك المبلغ وترك منزل الوقف.. أفلم يكن مكرم باشا بعد هذا شريكا له فى جرائمه ؟ وشاء طمع الحكومة أن تخرج زوجة الواقف من منزل الوقف الذى قرر معالى وزير المالية مكرم باشا عبيد نفسه نزع ملكيته لا لشيء سوى تحسين موقع منزل صاحب الرفعة رئيسه وزعيمه المقدس وكان الواقف قد اشترط أن تعطي زوجته مائة جنيه شهريا طالما كانت تقيم في منزل الوقف وتؤدى اشتراطاته من قراءة القرآن واطعام المساكين وغير ذلك فلما اخرجت المسكينة من منزلها ظلما وعدوانا منع عنها ذلك المبلغ ثم قيل لها فى سنة ١٩٤٠ إن في الامكان عودتها الى ماكانت عليه اذا اشترى الوقف منزل رفعة النحاس باشا بعشرة آلاف جنيه لتسكن

هي فيه وتقوم بشروط الواقف ولهذا اضطرت المسكينة أن تقدم طلبا بهذا الشراء الى المحكمة الشرعية وتظاهر رفعة النحاس باشا انه عطفا على حالتها ورحمة بها وبالمساكين يقبل مرغما أن يبيع منزله في سمنود بعشرة آلاف جنيه على أن يبيعه الوقف قطعة الارض الباقية من منزل الوقف القديم وأنقاض المنزل . فاشترى الوقف منه ارضه بسعر المتر ٢٥٠ قرشا غير المباني واشترى هو قطعة الارض المقابلة لمنزله والتي هي على نفس الشارع بخمسين قرشا المتر وكانت الرأس المدبرة لكل هذا في سنة ١٩٤٠ هي ولا شك رأس المجاهد الكبير سكرتير الوفد أي صاحب الكتاب الاسود .

وظلت هذه المسألة معلقة الى أن تولي رفعة النحاس باشا الوزارة في عام ١٩٤٢ فتمت الصفقة بالبيع والشراء ثم تنظر رفعة النحاس باشا علي وقف البدراوي في أول توليه الوزارة هذه المرة بعد أن كان لوزارة الاوقاف حق النظر عليه فأخذ من يد وزارة الاوقاف الي رفعة الرئيس في ١٦ مارس سنة ١٩٤٢ وبعلم مكرم باشا وبمشورته تم ذلك لأنه لم يكن قد اختلف بعد مع زعيمه المقدس فكرم باشا هو الذي حابى زعيمه في تلك الصفقة فسلمه مبلغ ٥٣٢٥ جنيها تعويض نزع ملكية منزل الوقف لا ليبني بها منزل الوقف بل ليبني بها منزله ثم يبيعه للوقف بمبلغ عشرة آلاف جنيه

ثالثا — استأجر رفعة النحاس باشا منزلا بالرمل قبل أن يدخل الوزارة هذه المرة بمبلغ ٢٠٠ جنيه سنويا واراد ان يستغل هذا الايجار فأجر من باطنه ذلك المنزل لسيدة اجنبية لتفتتحه قنصلونا للترفيه واعطي لها رخصة خمر في نظير ايجار سنوي تدفعه له مقداره ١٠٠٠ الف جنيه فكأن صاحب المقام الرفيع الحاكم العسكري

اصلي . فعمة تفر ومنزل سري برشوة قدرها ٨٠٠ جنيه سنويا في شكل ايجار . ولولا مركزه الحكومي لما استطاع أن يؤجر المنزل الذي لا يسمح عقده بأن يؤجره لغيره . ولولا مركزه الحكومي أيضا لما استطاع اعطاء رخصة الخمر . وهكذا شاء نكد العيش ان يرضى من يدعي لنفسه زعامة الامة بأن يجعل منزله الخاص بسكنه والمستأجر باسمه منزلا سريا وخمارة .. وهو ذلك الرجل الذى يدعى الدين ويصلي كل اسبوع في مسجد وينادي بالغاء البغاء وما كان لنا نحن ابناء الشعب الساكين ان نعرف تلك الفضائح لولا اختلاف ما بين الصديقين اللذين كان يؤيد كلاهما الآخر كل التأييد على مايعلمه من رذائله أو فضائحه

ومن المدهش أن رفعة النحاس باشا لم ينقل تليفونه بل تركه للبنسيون باسمه هو فتبحث في دفتر تليفونات الاسكندرية عن اسم النحاس باشا (فتجد مصطفي النحاس باشا منزل رقم ٢١٤٦ برمل الاسكندرية) واذا طلبت هذا الرقم رد عليك بنسيون الليزابيث للترفيه

رابعا — استغل حضرة صاحب المقام الرفيع سلطته الحكومية فى الاستيلاء على المنزل الذى كان يسكنه معهد التدبير المنزلى في جاردن سيتى ولم يكن رفعة النحاس باشا فى حاجة الى السكنى فقد كان منزله في مصر الجديدة من افضل منازل الوزراء فخمة وأبهة ثم اصلحه عندما دخل الوزارة هذه المرة بآلاف الجنيهات ثم دفعه بعد ذلك حب الترف والتمتع الى اخراج المعهد من مسكنه والاستيلاء على المنزل لسكنى رفعته الخاصة وبذلك خسرت وزارة المعارف حوالي ٤٠٠٠ جنيه منها الثمن كانت قد اعدت بها ذلك المنزل فجهزته بالافران واحواض الغسيل وغيرها من الكماليات التي

لاتوجد فى منزل آخر وبعد أن سكن فيه رفعة النحاس باشا اضطر هو وزارة المعارف أن تنفق على المنزل من جديد حوالي ٢٠٠٠ جنيه أخرى لتعده لسكنى رفعته وأراد بذلك الاعداد ان يفوق هذا القصر فى زخرفه قصر عابدين العامر وذلك على نفقة الدولة المسكينة فخسرت وزارة المعارف في تلك الصفقة حوالى ٤٠٠٠ جنيه ثم استولي رفعة النحاس باشا على كثير من اثاث المعهد كالثريات النادرة الوجود والأبسطة وغيرها من ادوات التدبير المنزلى التى استحضرت لهذا المعهد من الخارج ولا وجود لها في مصر. هذا فضلا عن أن نقل المعهد من مسكنه الى مبنى مدرسة الاميرة فوزيه ونقل مدرسة الاميرة فوزية الثانوية الى مبنى مدرسة عباس الابتدائية كل ذلك كان من شأنه اضطراب التعليم فى المعهد الذي نقل الى مكان ليس فيه معدات التدبير المنزلى واضطراب التعليم في مدرسة الاميرة فوزية التى نقلت من مكانها الي مكان مدرسة عباس الابتدائية و يمس فى المكان الجديد معامل أما مدرسة عباس الابتدائية للبنات فقد أغلقت لا لشيء سوى ارادة رفعة رئيس الوزراء فى أن يكون له من نخفخة السكن ما للملوك .

أما قول الوفد بأن الفنيين في وزارة المعارف هم الذين أرادوا جمع المعاهد في بناء واحد فان رجال المعارف لا ينقلون المدارس فى ١٩ اكتوبر كما تزعم الصحف الوفدية أى بعد ابتداء الدراسة وفي ذلك تعطيل لعمل المعاهد لا يقل مداه عن أربعة شهور بل رجال المعارف اذا أرادوا نقل المدارس نقلوها بعد انتهاء الدراسة مباشرة أي في آخر مايو أو اول يونيه ليتسنى لهم ما يريدون من الترتيبات والاصلاحات

خامسا — تستر حضرة صاحب المقام الرفيع على انسبائه احمد بك الوكيل وصبحي بك الشوربجي في تهريب الغزل من البلاد ولا شك فكرم باشا صادق في ذلك بدليل ارتفاع ثمن الملابس التي تنسج في مصر الى ذلك الحد الباهظ مع وفرة وجود القطن في البلاد وقيام المصانع المصرية بنسيج الملابس الامر الذى كان من شأنه وفرة وجود الملابس لفقراء المصريين لولا طمع الحكومة في حب الاستفادة بكثرة المال لها ولانسبائها .

سادسا — التلاعب بالمواد الضرورية للغذاء يرفع ثمنها وتصديرها الي الخارج وذلك كالأرز والزيت والسكر والحلوه وغيرها ، ولا يحتاج مكرم باشا في اثبات ذلك الى دليل فان سوء الحال في مصر في مدة هذه الوزارة ناطق به ولقد شعرنا بذلك التلاعب من يوم أن تولي مكرم باشا نفسه وزارتى المالية والتموين وكان اذ ذاك راضيا مادام له نصيب من الارباح . نعم شعرنا بذلك التلاعب من يوم أن أصدر مكرم باشا قرارا حدد فيه عدد الاراديب التى يسلمها الفلاح للحكومة عن كل فدان زرع قمحا فكان هذا التحديد معناه أن يسلم بعض الفلاحين المساكين لاثلاثة ارباع محصولهم بل اربعة اثلاثه فكان الفلاح يسلم المحصول كله ويسجن بالثلث الذى قضى به ظلم مكرم باشا

سابعا — الوساطة والرشوة ويستدل مكرم باشا على الرشوة بتواترها بين الناس ونحن نقول له أن هذا التواتر صحيح وانه كان كذلك يوم كان هو معهم في الوزارة ابتداء من مايو سنة ١٩٣٦ الي آخر سنة ١٩٣٧ فقد كانت الاشاعات على الوزارة هي الموجودة الآن وكان مكرم باشا يخطب فيحض الناس على الالتفاف حول الزعامة المقدسة

ولا شك أن الخطة التي رسمها مكرم باشا نفسه في أخذ مبالغ عظيمة ممن يرشحهم الوفد للبرلمان لجعلهم في حاجة الى تعويض ماخسروه بأخذ الرشوة من غيرهم والراشي لا يأنف أن يكون مرتشيا

ثامنا — الطمع واستغلال أموال الحكومة ويستشهد على ذلك مكرم باشا بسكنى رفعة النحاس باشا في الباخرة محاسن مدة طويلة واستيلائه على كثير من الزهور من المتحف الزراعي وطلبه الفراء من المفوضية المصرية في لندن ونحن نقول لمكرم باشا إن هذا كله صحيح وانه لو تذكر قليلا لعلم أن حرمه المصون هي التي نبهت حرم الرئيس الى شراء الفراء من لندن يوم قال الناس عنها في ذلك الوقت أنها اشترتها الفراء لحضرتي صاحبتي العصمة على حساب الدولة وكان ذلك اذ ذاك في نظر مكرم باشا من الامور المحللة المشروعة ومن أعمال الزعامة التي يجب ان تقدس دائما على كل حال

تاسعا — الاتجار بالاحكام العسكرية ولقد صدق في ذلك مكرم باشا وان كان لم يقم عليه الدليل لأن كل انسان يردد ذلك حتى ان كل من حكم عليه بحكم قاس في المحاكم العسكرية ينصح له بالالتجاء الى أنسباء رفعة الحاكم العسكري العام ليتم له مايريد من الغاء الحكم أو تعديله

عاشرا — عدم قيام البرلمان بمهمته .. يقول مكرم باشا ان البرلمان المصري اصبح اسما بغير مسمى فرفعة النحاس باشا يعمل مايريد والبرلمان يصفق له. وهذه حالة ولا شك أسوأ حالات الحكم ، فان الديكتاتور الذي يحكم بارادته

ومشيئته دون برلمان ولا شورى قد يخجل من نفسه أن يستبد استبدادا معيبا لشعوره بالمسئولية . أما رفعة النحاس باشا الديكتاتور المستتر الذى يدعي الغرام بالحكم الدستورى واتباع مشيئة الامة يشعر ولو فى نفسه أنه غير مسئول عن أعماله مادام وراءه برلمان يصفق له ، ما دام هذا البرلمان مظهراً ولو فى نظر الغريب عن البلاد من مظاهر تعلق الامة برفعته فهو يستبد ويتعسف دون أن يخجل من استبداده وتعسفه وتئن الأمة المسكينة من تلك الحالة التعسفية وهو يتغنى بالتفافها حوله ويتشدق بحكمه الدستورى الذى يعتمد فيه على دستور سنة ١٩٢٣ بالذات أما الدساتير الاخرى فغير وافية بالغرض الدستورى المقدس في نظر رفعة النحاس باشا بعد أن قبض على المئات من المصريين وسجنهم بلا ذنب ولا جريرة ، وبعد أن أراد رفعته أن يضم الى هؤلاء المساجين سيدة خدمت تعليم البنات ٢٢ سنة لا لسبب سوي أن مكرم باشا شيطانه لا يريدها أن تعمل وخرج شيطانه ومع ذلك فقد استمر على رأيه بعد أن وكل شئون حكومته الي شيطانين آخرين هما كامل صدقي باشا وابراهيم فرج مسيحه بك . ولست اقصد بكلمة شيطان سبا بل أن كل شاعر له شيطان يلهمه الى الشعر .

فبرلمان هذا شأنه خير للأمة أن لا يكون ولكنا نعود فنسأل مكرم باشا : هل كان برلمان سنة ١٩٣٧ الذي كان هو راضيا عنه نسخة غير هذه ؟ لقد كان اشد تعسفا بالدستور والقانون من البرلمان الحالى فلم يسمح لأحد من المعارضين أن يقول كلمة . بل كانت الاكثرية تسكته قهرا واقتدارا أما هذا البرلمان فقد سمح والحمد لله بعض المناقشة وان كانت في نهايتها غير مجدية فهو أقل شرا من الأول

١١ — خنق الحريات والصحف والاستبداد بكل شيء

ولقد أبان مكرم باشا في كتابه الاسود كيف استهترت هذه الوزارة بحريات الناس ورجعت بمصر الى العصور المظلمة ايام كان الناس يزجون في السجون لمجرد الشبهات والدس حول اسمائهم واستهترت بالحصانة البرلمانية فقبضت على اثنين من الشيوخ دون أن تخطر مجلس الشيوخ ولو لمجرد اخطار وهما حضرة صاحب المقام الرفيع علي باشا ماهر وصاحب السعادة محمد باشا طاهر كما قبضت كذلك على نائب من مجلس النواب هو الدكتور فهمي سليمان ووصل شرها الى البيت المالك فقبضت على الامير عباس حليم هذا عدا من قبضت عليهم من افراد الشعب المصري فملأت بهم المعتقلات دون تحقيق ولمجرد الاتهام الذي قد يكون العامل الاصلي فيه الحقد والغيرة ولقد كان هذا يعمل بأمر مكرم باشا نفسه وربما كانت التقارير التي يكتبها الدساسون عن رفعة علي باشا ماهر وغيره يبعاز منه وبأيدي انصاره الكثيرين ولقد كان يحتج بها رفعة مصطفى النحاس باشا عندما سئل عن اعتقال رفعة ماهر باشا فلم يبد مكرم باشا أي اعتراض على ذلك . فقوله انه لم يكن موافقا على اعتقال رفعة ماهر باشا قول لاقيمة له لانه هو نفسه يعترف في كتابه الاسود في صفحة ٢٠ أن رفعة النحاس باشا كان يستشيره في كل شيء حتى بعد ان دب بينهما الخلاف وقال مانصه (وكذلك في هذه الفترة عاد يستشيرني حتى في شئون وزارته الخاصة فكنت أنا الذي اشرت بتعيين المحافظ العالي للاسكندرية عندما استشارني في الامر بيني وبينه وكذلك كانني بشئون اخرى خاصة بوزارة الداخلية وكنت كذلك مطلق اليد في عمل في

وزارتى المالية والتموين)فكيف اذن يصدق العقل انه لم يوافق على اعتقال رفعة على ماهر باشا ؟ ولم لم يحتج اذا كان غير موافق ؟ أو يترك الحكم لهـذا الخطب الجلل بدلا من أن يتركه محتجا بالاستثناءات التى كان له هو وحده منها ١٢٠٠ استثناء فى وزارة الوفد سنة ١٩٣٧ ولو وقف الشعب على الحقيقة لذكر له استثناءاته فى وزارته الاخيرة ايضا. فمكرم باشا صادق فيما وصل اليه الحكم من سوء الحال ولكنه هو الاصل في تلك العلة وهو الذى شيد ذلك الصنم كما يقول وكان يتكلم من جوفه فكيف يتبرأ من أعمال صنمه الآن؟ وقد استرسل هذا الصنم للساذج الذي لا يقدر ما يفعل في تعسفاته فهاجم البوليس الازهر الشريف وضرب الطلاب بالنار واعتقل مشايخ الازهر كما اعتقل غيرهم ولولا يد المليك لظلوا فى سجونهم الى الآن . فحالة الوزاره كما شرحها مكرم باشا في كتابه لا يجوز السكوت عليها بعد أن ملها الشعب بأكمله ولولا الضغط والاعتقال لثار فى وجوه الظالمين .

١٢ — الانتخابات تكلم مكرم باشا عن الانتخابات وتزويرها وكيف كان يدخلها أشخاص بشخصيات غيرهم وقس سعادته ان هذه هي الخطة التى رسمها هو للوفد منذ حين فقيد كان تحت يد الوفد صور باسماء الدوائر فكان يذهب مكرم باشا بنفوذه الى الاقسام فيبحث عن تلك الاسماء ويأخذ من البطاقات الانتخابية من مات اصحابها أو نقلوا من الدائرة ويوزعها على افراد من عنده ولقد كان هذا هو سر نجاح الوفد في الانتخابات ومن طريف ما يروى أن شخصا يبلغ التسعين من عمره دخل يعطي صوته فى احدي اللجان التي كان

يشرف عليها سعادة مكرم باشا بنفوذه القوى على حساب الوفد دخل ذلك الشخص المسن أمام رئيس اللجنة وبيده بطاقة تثبت أن عمر صاحبها ٢٥ عاما فقال له رئيس اللجنة هل عمرك ٢٥ عاما يادى ؟ فضجك الشيخ وقال (اننا كلنا وفديون ياسيدى فقد أدخل أنا بدلا من ابنى كما يدخل ابني في لجنة أخرى بالنيابة عني وكلنا وفديون فى وفديين) ولم نسمع أن مكرم باشا غضب من تلك الطرائف التى أخذ يذكرها في كتابه الآن بل هى كلها من صنع يديه المكرمتين .

١٣ — مشروع اسبوع البر . ويقول مكرم باشا أن مشروع اسبوع البر أريد به استغلال السلطة الحكومية وهو الانسام على بعض الكبراء برتب نظير مايدفعونه لمشروع اسبوع البر وان رفعة النحاس باشا صارح شركه بذلك

ولما كان لحرم رئيس الوزراء أن تعرض نفسها لجمع صدقات من الناس لأن تلك الحالة تدفع كل من يريد من الوزارة جاها أو وظيفة أوغيرها أن يتبرع لذلك المشروع فهو اذن رشوة علنية ماكان لحكومة رشيدة ان تسمح بها وكل ماأزيده على ماقاله مكرم باشا هو أن أضع صورة حرم رئيس الوزراء هنا ليرى القارئ سرورها بجمع المال بين يديها مما يدل على جشع لا نظير له وكان من المكتتبين لمشروع اسبوع البر المسيو كوتسيكا الذى كان يرشى الموظفين سابقا ليزيد مليما واحدا على ثمن اللتر من الكحول فزادته هذه الوزارة ثلاثة ملاليم ومن ذلك أيضا أن التاجر الذى سمح له كامل باشا صدقي بتصدير ١٠٠٠ علبة سردين الى الخارج تبرع هو أيضا لمشروع البر بمبلغ ١٠٠ جنيه

١٤ — محاباة النحاس باشا لاقاربه وانسبائه واصدقائه على حساب الدولة . وقد استدل مكرم باشا على ذلك بالامثلة الكثيرة التى لاتقبل الشك ونحن نعترف مع مكرم باشا أن رفعة النحاس يحابي اقاربه وأنسباءه بجرأة معدومة النظير ، كما يحرم خصومه من حقوقهم الشرعية ، ولكنا نعود فنذكر مكرم باشا انه هو الذى علم النحاس باشا ذلك الرجل الساذج كيف يحابي

الاقارب والانسباء على حساب هذا الشعب المسكين فليتذكر مكرم باشا قليلا ليعلم أنه في سنة ١٩٣٧ وقد كان هو المهيمن على شئون الوزارة اصدرت وزارة المعارف منشورا يقضي باغلاق كل مدرسة حرة يقل عدد تلاميذها عن ٥٠ تلميذا فاغلق بذلك المنشور كثير من المدارس الاسلامية التي ليس له فيها قريب ولا نسيب أما المدارس المسيحية التي يقوم بادارتها اقرباؤه وانسباؤه واصدقاؤه فقد حماها من الاغلاق واغدق عليها الاموال اغداقا حتى أنه لما اتضح له ولغيره أن مدرسة الاقباط بقنا وهي مسقط رأسه لم يكن بها الا ٣٥ تلميذا فقط لم يسمح باغلاقها بل ابقاها ولم يكفه ذلك فصرف لها ١٠٠٠ جنيه بصفة اعانة استثنائية كما صرف لجمعية الاقباط الكبرى ٤٠٠٠ جنيه اعانة استثنائية ثم صرف لها من المالية عشرة آلاف جنيه بصفة سلفة دون أن يسعى اية جمعية اسلامية شيئا فهل كان ذلك الاغداق والحرمان الا محاباة لانسبائه واقربائه واصدقائه بالجملة لا بالقطاعي . ولما دخل الوزارة هذه المرة أخذ يمهد لتتنازل المالية لجمعية الاقباط الكبرى عن السلفة ثم تعطيها ٥٠٠٠ جنيه بصفة اعانة استثنائية من خزينة الدولة فيكون نصيب اقاربه واصدقائه على قلتهم ١٥ الف جنيه من اعانة التعليم الحر وقد تم تنفيذ ذلك بعد خروجه مباشرة على يد صديقه كامل باشا صدقي . ومع ذلك لم يذكر مكرم باشا في كتابه الاسود عن نفسه وعن صديقه كامل باشا صدقي هذه المأثرة الحسنة في العدل والمساواة . لقد كان مكرم باشا يمهد لأعطاء اقاربه وانسبائه ١٥ الف جنيه لتعليمهم يوم كان يعارض أهد المعارضة في صرف التعويض لمدرسة بنات الاشراف الاسلامية

ومقداره ٢٤٠٠ جنيه فقط.. وهو يعلم أن ذلك المبلغ صرف فعلا على المبنى الموقوف لوزارة المعارف الذى يعد مبنى حكوميا والذى هدمته القنابل . فهل كان هذا الاغداق على اقاربه وانسبائه وأصدقائه وحرمان المدارس الاسلامية المنكوبة التى ليس له فيها أقارب وانسباء من العدل في شيء؟ أم انه هو ورفعة مصطفى النحاس باشا فى محاباة الاقارب سواء بل هو أشد ظلما وتعسفا من رئيسه

واذا نحن عاتبنا مكرم باشا على محاباته لاقربائه وانسبائه أقحم الدين بجرأة مخيفة وتمسك باتحاد العنصرين كأن اتحاد العنصرين لايكون الا بظلم المسلمين ظلما فاحشا كهذا . ومن العجيب المدهش أن تعاليم مكرم باشا هذه قد أثرت تأثيرا عظيما في مخ النحاس باشا الضعيف فأصبح يخاف ويرتجف من أن ينسب اليه حب التعصب فيظلم المسلمين ظلما فاحشا ليبرىء نفسه الآثمة بهذا الظلم من التعصب الدينى حتى انه يقحم الدين في النزاع القائم بينه وبين مكرم باشا الآن مع أنه سبق ان اختلف فى سنة ١٩٣٧ مع ثلاثة من زملائه رجال الوفد الاصليين ومن خيرتهم هم الدكتور احمد باشا ماهر والنقراشي باشا ومحمود غالب باشا فلم يرتجف النحاس باشا من مهاجمتهم كما يرتجف الآن من معاداة مكرم باشا فيقوم فى مجلس الشيوخ ويقول (كما اهيب بكم جميعا على اختلاف ميولكم واحزابكم وبكل جزيء من ابناء الوطن العزيز على وحدة الامة المصرية القديمة وهي الوحدة التى مكنتها بجهادنا أن تقفوا كل محاولة خطرة يدفع اليها أى لاعب بالنار للتفريق بين عنصريها اللذين جمعا بينهما الاتحاد الوطنى المقدس)

فالنحاس باشا خائف فزع ويدفعه هذا الخوف والفزع دائما الى

ظلم المسلمين لا لسبب سوى ذلك الخيال الذي رسمه مكرم باشا في مخه الضعيف . فالحاكم عليه أن يحكم بين عناصر الامة بالعدل لا يحابي هذا ولا يظلم ذاك . أما أن يدفعه الخوف الي احتقار المسلمين ومعاداتهم زعما منه أن ذلك يدل علي عدم تعصبه الديني فويل لنا نحن المسلمين من اسلام ذلك الزعيم ولقد كنا نفضل أن يكون مسيحيا فيحابينا ويعطف علينا خوفا من أن ينسب اليه التعصب الديني ويريحنا من اسلامه وصلواته التي وصلت بنا الى الحضيض

دخل رفعة النحاس باشا الوزارة هذه المرة وللمسلمين المساكين اربع مدارس ثانوية للبنات ولاخواننا المسيحيين سبع مدارس ثانوية للبنات تعينها الحكومة فدفعه هذا الوهم الفاسد ان يضطهد المدارس الاسلامية فيخرج من اعانة الحكومة ثلاثا منها ولا يبقي لهم الا واحدة ويعطف علي اخواننا المسيحيين فيعين لهم مدرستين اخريين فيصبح عدد المدارس الاسلامية الثانوية للبنات واحدة فقط نظير تسع مدارس للمسيحيات وكل ذلك ليثبت أنه غير متعصب ديني ، فمكرم باشا لا يبالى باللوم فيسير في تأييد مدارس أكاريه بخطى ثابتة لا تتزعزع أما النحاس باشا فيحارب مدارس المسلمين لا لغرض آخر سوى أن نكبات الدهر جمعتها به في دين واحد . اننا في عصر المعجزات المدهشة التي قام بها ماركوني الآن والتي لم يستطع نبي أن يجاريه فيها فكان علينا والحالة هذه أن نترك الدين ظهريا وان نعدل بين فئات الامة علي اختلاف اديانها . ان هذا السخف الديني الذي ادخله مكرم باشا علي خيال النحاس باشا جريمة موروثة فقد جعله هذا الخيال يشجع المدارس المسيحية بكل قواه فيزور التوفيق القبطية بالقاهرة كما

يزور التوفيق القبطية بالاسكندرية ويأمر وزير معارفه فيزور التوفيق القبطيه بالقاهرة هو وجميع رجال الوزارة ويتجنب رفعة النحاس باشا جهد استطاعته ان يزور مدرسة اسلامية . فياويل الاسلام من المصلين وياويل العدل نفسه من تلك المعاملة الظالمة التي يعاملنا بها ذلك المصلي المتدين . .

ولست اهتم هنا بظلم النحاس باشا للمسلمين في الوظائف لأننا اذا كنا متعلمين أمكننا ان نترك هذه البلاد ونعمل في غيرها من البلاد التي لا تعصب فيها أما الجهل فيحرمنا من كل شيء

الخاتمة

يطالب سعادة مكرم باشا في آخر كتابه زوال هذا الحكم وكل ماتشأ عنه من تعيينات وترقيات واستثناءات وغيرذلك وهو طلب لا تصلح البلاد بدونه وكما أن رفعة النحاس باشا اعاد وزارته الاولي كما كانت بجميع اشخاصها في مراكزهم السابقة يجب أن يرد عليه بعدخروجه من الحكم باعادة كل شيء الي ما كان عليه قبل دخوله فيه وان يحرم دخول الحكم على رفعة النحاس باشا ورأسه المفكر مكرم باشا مرة أخري وبغير هذا لاتصلح الأمور فان رفعة النحاس باشالو دخل الحكم مرة أخري خشينا أن يركبه شيطان شر من مكرم باشالأنه هو شخصيالا يستطيع الاستقلال بعمله ولا بد من أن يعتمد على غيره . اما مكرم باشا فقد عرفناه رئيس وزارة مدة طويلة وان كان قد تنكر لنا في زي شبح اسمه رفعة النحاس باشا

قيمة الكتاب الاسود الادبية

وبعد فلي كلمة أقولها على اسلوب مكرم باشا الذى ظل يتغ

فيه السجع في العصر الحالي عصر السرعة والطيران حتى كان ذلك السجع يخرجه احيانا عن المعنى المطلوب كما يخرجه احيانا عن الادب في حضرة مليكه الذى وجه اليه الخطاب . اما عن المسألة الاولى فقد قال في صفحة ٨٣ عن مسألة الصفقة التى اشترتها حرم رفعة النحاس باشا من آل عدس بسعر الفدان ١٢٠ جنيها فقط مع أنه كان يساوى في ذلك الوقت ٢٦٠ جنيها على أقل تقدير وأراد أن يقول فى كلامه أن آل عدس رضوا بذلك الغبن نظير شيء آخر كافأهم به رفعة النحاس باشا داخل سلطته الحكومية فقال (كيف ارتضي آل عدس وهم التجار الحاسبون هذه الصفقة الكاسدة فما ربحت تجارتهم وما كانوا يكسبون) فاضطره السجع أن يقول (فما ربحت تجارتهم وما كانوا يكسبون) مع أنه أراد ان يظهر لنا أنهم ربحوا الشيء الكثير في الخفاء وبهذا السجع خرج عما أراد من المعنى . اما النوع الآخر فقوله في صفحة ٤٩ (وهكذا دواليك فان الحلقة مفرغة مادامت الاموال تتوالي سابغة مسبغة) فكلمة دواليك ينفر منها الذوق فى مخاطبة مليك البلاد والجملة كلها كلام مطول لايجوز أن يكون فى عريضة مقدمة لمليك البلاد. كما يقول فى صفحة ٢١ عن مخزن الشوربجي (بل وجدوه قاعا صفصفا كما وجدوا مخزن القاهرة أيضا أفرغ من فؤاد أم موسي). كلمات مبتذلة مجتها الاسماع لاتقال في عريضة تقدم لحضرة صاحب الجلالة الملك لأنه ليس لدى جلالته من الوقت مايقرأ فيه تلك السخافات وقد كان فى استطاعة الكاتب أن يقول (فوجدوا المخزنين خاليين) فيريح الناس من الثرثرة ويريح نفسه من الكتابة التي لاقيمة لها كما قال في موضوع آخر (وكان ما كان جريا على الخطط

المأثورة عن مخالف العصر والأوان) وكما يقول في موضوع آخر على قاعدة (شيلني واشيلك)

انحطاط في التعبير ما كان لوزير أن ينزل اليه وثرثرة لا يجوز أن تكون في كلام يقدم لمليك البلاد ولو أن مكرم باشا كان يخطب قصائده الزرق لعذرناه في ذلك وقلنا إنه انما يخاطب الناس على قدر عقولهم . أما وهو يكتب لمليك البلاد وزعماء الامة فلا عذر له في ذلك الانحطاط .

وقد ملأ الكتاب بعد ذلك تألما وتأسفا على نخبته وأبهة نفسه مما يدل على أنه كرفعة النحاس باشا سواء بسواء فهو يئن ويشكو كيف استبد به رفعة النحاس باشا فلم يسمح بذكر اسمه في الصحف وهو وزير بعد أن دب بينهما الخلاف لا في العامود الذي يذكر فيه رئيس الوزراء ولا في العامود الذي بعده وانه اى رفعة النحاس باشا منع نشر برقيتين ارسلتا الى مكرم باشا احداهما من حضرة صاحب السمو الامير عمر باشا طوسون والاخرى من صاحب الفضيلة ابي الوفاء الشرقاوي وقد تضمنت البرقيتان التنويه بجهود (هذا الضعيف) على حد تعبير مكرم باشا . ثم عاد وقال كيف أن رفعة النحاس باشا نشر صورة المستر تشرشل المهداه اليه في الصحف ولم يسمح بذكر شيء عن زميلتها التي ارسلت لحضرة صاحب الدولة حسين سري باشا من نفس المستر تشرشل وبنفس الكلام وأنا اؤكد لمكرم باشا أن دولة حسين سري باشا ذلك الرجل الذي نما في اسرة رفيعة العماد تعلم منها على الاقل آداب المجاملات لا يقبل مطلقا أن تنشر تلك الصورة أو تذكر في الصحف . وان دولة سري باشا اذا كان قد ذكرها أمام مكرم باشا فلا أظنه قد فعل

ذلك الا علي سبيل الانتقاد علي تصرفات رفعة النحاس باشا .

كما أخذ يشرح لنا كيف هددهو الانجليز بالاستقالة ليرضوا بأن يقرضوا الحكومة المصرية القمح وان رفعة النحاس باشا ادعي الفخر لنفسه ولا أدرى ما الذى يهم الناس من قراءة هذا والحكومة متضامنة فيما تفعله كما أننا لاندرى كيف اضطر هو الانجليز الي اقراضنا القمح وعلى أى جيش وعلي أى سلاح أعتمد هو فى تهديده وهم انما يعملون بارادتهم ففضل الاقراض عائد عليهم ولو شاءوا لرفضوه . فكلام كهذا لافائدة من ذكره وليس فيه الا الفخفخة والافتخار الكاذب وما كان لمثل هذا الافتخار أن يقدم في عريضة لمليك البلاد .

وفى نظرى أن ذلك الكتاب فيه كثير من التطويل الممل والاعادة التى يسأمها الانسان حتى انى لااتخيالى اذا شبهته بأناء كبير ملىء ثريدا ثم قطع فيه نصف رطل من اللحم قطعا صغيرة لاتكاد ترى من الثريد وقدم للناس ليأكلوا منه اللحم لاالثريد فلم يستطيعوا الوصول الي مايريدون الا بشق الانفس . فنحن في ذلك الكتاب نكد ونتعمل لنصل الى شيء صغير نطالع من أجله صفحات وصفحات ولو وضع هذا الكتاب اديب بارع لما تعدى فى كتابه ٦٠ صفحة على اكثر تقدير وكان يكون الكلام اذ ذاك وقع فى اتهام النحاس باشا لأنه يسهل على القارىء مهمته في حصر ذلك الاتهام ؟

نبوية موسى

Bibliotheca Alexandrina
0415844